

تراث

شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
العدد السابع - العدد ٧٨
ربيع الأول ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - مايو ٢٠٠٤م

- « مخطوطات مركز زايد
للتراث والتاريخ بالعين
- « جهود كبيرة لمركز جمعة
الماجد بدهي
- « اهتمام كبير للحفاظ على
المخطوطات العمانية
- « مستشفى لترميم
المخطوطات في الكويت
- « تدوين تاريخ البحرين
من خلال المخطوطات
- « مكتبة المخطوطات في مصر
- « اعلام المحققين العرب
- « ذكريات لا تنسى في ليبيا
البحث عن المخطوطات

والقرا كتاب تراث:

- « د. فالح جنتقل: مخطوطات
قرنية في ليبيا قبل مائة عام
- « عبد العال الباقوري: كتابات
عن المخطوطات
- « د. خالد حزمي: فهرسة
المخطوطات عمل استشاري
- « محمد السيد: مخطوطات
البحر - كنوز لا تقدر بثمن

المخطوطات

كنوز علي وشك الضياع

كيف نحمي الموجود .. ونستعيد المفقود

قراءة في مخطوطة

رسالة في الطب للعلامة محمد بن عمر بحرق

د. أحمد صالح وابضة

من بين روائع المخطوطات التي تركها علماءنا، مخطوطة «رسالة في الطب» للعلامة محمد بن عمر بحرق، وهو شخصية عسافية من أبناء اليمن، تنوعت أعماله العلمية والفكرية والسياسية. وبذل جهوداً كبيرة في البحث والتأليف. ولد في سلون بحضور موت في ١٥ شعبان ٨٦٩هـ، ترعرع في بيئة علمية، حفظ القرآن الكريم والقرية الشحو بكاملها، تولى القضاء في مدينة الشحر، وقاد الحملة العسكرية التي جهزها بوطوبيرق على المهرة في رمضان ٩٥١هـ، أجمع المؤرخون على أنه من كبار العلماء الراسخين والأفذا المتبحرين، له نقاش شعرية أقرب إلى الأصالة، وله في النثر الكثير، توفي مسجوماً في كمينية من أرض الهند في ٢٠ شعبان عام ٩٣٠هـ.

لا تتجاوز عدد أوراق هذه المخطوطة «الرسالة» ستة عشر ورقة، وصفها الناسخ محمد بن صالح بن دوغان بأنها رسالة عظيمة في الطب للإمام العالم العلامة الولي الشيخ بحرق على حد تعبيره، وهي شرح لأجوبة في الطب، لم تقف على أصولها، فعمل بحرق شرح في نظمها كما أشار الناسخ في أوخرها، يوم الجمعة المبارك، التاسع والعشرين من شهر المحرم عاشوراء، أول عام عشر بعد تسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وشرح الناسخ بن دوغان من تحريرها شحوة يوم الجمعة سابع شهر رجب عام ثلاث وثمانين وألف، أو أربع وثمانين وألف، وكثرت بخط نسخي، وعليها تعليقات في هوامشها لا تمت بصلة إلى المادة العلمية أو تصنيف شيئاً جديداً إلى عشقها، وقد أصاب الرسالة البطل.

بباسب الثاني في حق الأربعة من سبعة
 لا تعدل الميزان بالانزلة...
 وما ذكره لا يفي بالشرح...
 من وقتنا وقتنا...
 أي وما يدعي الاعتقاد...
 لا تدل على...
 له...
 معتقداً...
 سبباً في...
 في النظر...
 معها...
 والادوية...
 في صلح...
 والزياد...
 ولم...
 في...
 والعسل...
 أي...
 السوداء...
 رطبة...
 الطبيعة...
 وقد...
 واليمن...
 وفي...
 كثر...
 من...
 وقطع...
 الرسالة البطل

«الاقتصاد في كل مناحي الحياة، سبيل من سبل الحياة السليمة»

وبعد أن ممارسة الرياضة كل يوم ولدت خلق المعدة من الضغام - وحده قدرها بقدر ما تحضر البشيرة ويبدو أن العرق.

أما يوم فهو رجوع الحواس عن الحركة وسكون النفس الحساسة والقباضها مع الحرارة الغربية إلى داخل الجوف ببخارات معتدلة تصعد من الجوف إلى الدماغ وقد أرحم العلامة بحرق طبيعة النوم وفوائده ومضاره في بيوتين.

والنوم فيه راحة ومضم
لكن مع الإفراط فهو ضدم
فلا يجوز فوق لثني ليلة
وفي التنهار ساعة الفيضونة

ثم دعا الإنسان، قيل أن يأوي فراشه أن يتحلل من شونه وشجونه. وأن يكون ظاهر الباطن والظاهر ^(١١) وفي إشارته إلى الامتلاء، أورد قول الرسول محمد ^(١٢) بينة - البشنة أصل كل دواء، والحمية أصل الدواء - ونبه إلى ضرورة تناول وجبة واحدة حين قال:

وأكلية واحدة أولاً ولا
بأس بما عيشيد دون الامتلاء
واحذر ولا تدخل على الطعام
طعاماً إلا بعد الإنهضام ^(١٣)

والجمع بين شرطين كاللبن
والسك احذر فهو داء لسبب
وحذر من الجمع بين بعض الأشعة الباردة كالسك
واللبن، أو الحرارة جداً كالبيض واللحم، فهي ضارة
بالصحة على حد زعمه ^(١٤) وحث الإنسان على

استنشاق الهواء النقي، وهو ما كان ليلياً شرقياً (رياح الصبا) والتأني قدر الإمكان عن منافذ الرياح العظيمة، والدخان، والروائح النتنة ففيها الضرر بالروح، ولم يغفل الإشارة إلى الغضب والهم، ومضارها على الصحة فقال فيها: «والهم والغضب فادفعه كي تكفي العظية ^(١٥)».

الباب الثاني: في الأغذية والأدوية

يسط القول في هذا الباب في فوائد الأطعمة والأغذية بمختلف أنواعها، واستخلاص الأدوية منها، إما بتخلطها بعضها ببعض الأخرى بمقادير محددة، أو إضافتها إلى مواد نباتية أخرى. وقد أجمع جمهور العلماء والأطباء بخاصة على الاستفادة القصوى من النباتات والأعشاب واستخداماتها المختلفة وفق مقايير ومقاييس مضبوطة، لأن الزيادة في الكميات والإفراط في الاستخدام، يعطي نتائج عكسية وطبية، ونبه إلى ضرورة الاعتدال في الغطاء موافقاً للمزاج. وفي الفصول المحددة لتبصيح الشربة، وهذا ما نبيه إليه كبار العلماء، الأطباء، كالمسلمين، والكندي وغيرهما.

ومن الأطعمة التي تزيد في جوهر الدماغ والبصر، زيت البقر، والغم إذا جدد مع السكر، مستشهداً بقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قال: «... إن تدأوي العرب بشي، كالسمن، ومن زاد من أكله، نزع منه وجع الظهر وصداع الرأس»، وأضاف أن الألبان كلها تزيد في الدماغ، وتطبع الوسواس، والنسيان، وصفرة العينين مطبوخة بالسمن والسكر، تزيد في الشهي وجوهر الدماغ والبصر.

ويروى أن الحلوى بأنواعها كافة حارة ورطبة، تفتح السدد وتلين الطبيعة، وإذا أخذت من العسل زادت في العقل، وجوهر الدماغ، والبصر والباء.

ولا شك أن هذه الأشعة غنية بالدهون، أو ما يسمى بالكوليستيرول أو الكوليسترول، ولكنها هنا تعد من الدهون غير المشبعة. فبعض الدهون والسمون إذا اشتمت خلاصة من الألبان النقية، كانت عوناً على امتزاج الكوليستيرول من الشرايين. ولهذا فإنه يرى أن الحلوى المنقحة من العسل تلين الطبيعة، وتطوي المفاصل والأعضاء فهي - على الأرجح - تفتزع الدهون الضارة من الجسم أو تتخلص منها، أما العسل المنزوع الرغوة، سيد الأدوية، فهو إلى جانب خواصه وفوائده الكثيرة، يلمح العقل السوداء، وينقي الفروج الفاسدة، ويفرح في أعماق العروق، وينقيها من الغل ^(١٦).

» إذا اتخذت الحلو من العسل، زادت في العقل، وجوهر الدماغ، والبصر والباه«

باله، الساخن. وإذا أفاق اعتد في غذائه على الأطعمة الخارة الرطبة، وعزاً ييسر العيتين. وليلة النوم، والخبط في الكلام، إلى حط سوداوي، وعلاجه كل الرزبات، ومنها الحلوى المنطبة من صفرة البيض والسمن والسكر، التي توضع على نار لينة، وتحرك تحريكاً جيداً، فإنها ترطب الدماغ، وتزيد في جوهر العقل والبصر^١. ويتم معالجة السعال الجاف، بتناول سرق اللوبيا (الدجر الأبيض) مع السكر الأحمر، أما مريض الجذام فينصح به حرق يشرب نفاحة الحناء على الريق^٢.

وأوجز الباب الأخير من رسالته في تقطير

١- العقل الدموية حيث عزاً هيجان الدم، وظهور العقل الدموية إلى كثرة تناول الأطعمة الخارة، والطباخ المسفة، والخلوى، والنشر والعسل، ودعا -والحال هذه- إلى تعديل المزاج يشرب الحلو، وأكل الحوامض كاللبن الحامض مثلاً.

٢- العقل البلغمية. وتبيح العقل البلغمية بسبب كثرة أكل الأطعمة البلغمية، وهي الباردة الرطبة كاللبن النافع، والسعد الطري، والفواكه.

والنتيجة: تبخر الطبيعة يتآكل رطب معتدل يصعد إلى القلب، ثم يتعكس إلى سائر البدن، فيحدث ارتخاء في المفاصل، وثقل في الأعضاء، وحينئذ توجب الميامرة إلى تعديل المزاج بالأغذية الخارة اليابسة كالعسل والزنجبيل والفلفل.

ومن الأمراض البلغمية (الفالج) وسببه كما يرى، علة الرطوبة والبرودة وعلاجه: خلطة من الفلفل الأسود الغلي في زيت أو سليط ويدهن به المفلوج،

وفي ملاحظاته عن الحبة أصناف خاصة لم تشر إليها الكثير من المصادر والمراجع الطبية ومنها، فعرشها على إطلاق حصر البول، وتفتت الحمى، وذلك إذا طبخت بالسمن^٣.

ومن الأطعمة الأخرى التي تزيد في القوة والبصر، وتنبهت الحفظ، الإكثار من لحم الضأن، ولحم الفراريج^٤.

والكرات إذا أكل ثلاثة أيام قطع البواسير، والإكثار منه يظلم البصر، ويغير النكهة والأسنان^٥.

أما الدجر الأسود، إذا طبخ باللبن والسكر لجن الصدر والغرويق والمفاصل والأعضاء، ونفع من السعال^٦.

وعدد فوائد الحصل، والشوم، والحبة السوداء، والزنجبيل والمر، والظل، وطرائق العلاج المستعملة، فالحصل يطبخ البلغم، ويدفع ضرر آليات التوية ويبيح الباه، ويمزيد في الشهي، والإكثار منه يورث الضيق، ويفسد العقل، يظلم البصر، والشوم يحرق البلغم ويشفي من السموم، ويطلع عن تغيير الشهية، وإذا أكل مع العسل، قطع البلغم، وقوى المعدة، وقمل الدود وأذهب البواسير، وضيق النكهة، والإكثار منه يثير الصفراء والحكة^٧. والحبة السوداء، تفعل فعله في قطع البلغم، وإذا أكلت مع العسل سكت أوجاع الظهر والمفاصل، ولينت البيوسات الرطبة، والزنجبيل يلجن الصدر ويلقي قسوة الرئة، ويحسن الصوت، ويمزيد في الباه والشهي، ويهضم الطعام، والمر الذي يستخدم بكثرة في حضرموت، أو جناب حسير الموعضي والسقطري، إذا شرب منه مقدار حبة الباقلا (المول) نفع في شيق النفس، ووجع الجنب والصدر، وقبب النكهة، وحسفا الصوت، وقمل الدود في البطن، والفرفر يقطع البلغم، والظل إذا شرب وأكل مع الطعام قطع العقل الدموية، وكان أماناً من كل غلة، ونفع من تولد الزباه، أما إذا خلط باللبن الحامض المنزوع أسد إطلاق البطن.

والعلاج الحمى الشديدة، ينصح بحرق، المريض يشرب ماء اللوبيا (حرق الدجر الأبيض ممزوجاً بالقوم)، أو يتناول النمر هندي (الحمر) المنقلع من اللبن مع السكر^٨.

أما السمكة القلبية فيرى أن سببها الخلط السوداوي الثقل المستحكم، وعلاجه، أن يدهن البدن بخلطة من المصطكي والشوم، والزيت، والسليط الغلي، وأن يعرف به حركاً جيداً، لجان تحرك المريض، وإلا نكس تحت ظفره بإبرة، ليعلم حياته من موته، فإن تحرك لم يغسل

ويحرك محركاً شديداً بكرة وعشية، ومن المستحسن بعد ذلك أن يعتمد في طعامه على الأغذية الحارة. كالفراريج والإكثار من الحشيش المخلوط بالعسل على الريق، وتجنب تناول الأغذية الباردة.

مصادر رسالته:

يبدو جلياً أنه استند في كتابة رسالته الطبية إلى جملة من المصادر والمراجع الطبية لعل أبرزها:

- ١- الفردوس في خواص الأدوية والأغذية لابن البيطار.
 - ٢- تفويم الأبدان في العلل وعلاماتها وأسبابها، وعلاجها لابن حزم.
- إلى جانب الاستخراجات الدوائية المستفادة من الطب الشعبي اليمني في حضرموت والعلاجات التي دأب على استخدامها عامة الناس، من مستخلصات الأعشاب. ومن تناول الأطعمة والأغذية في الفصول والأوقات المحددة لموها وحصادها.

وجتهد نظير بحتري في تصنيف الأخير فتتمثل مهارة الطبيب في كونه ينظر في العلة، وحال المريض ويصف له العلاج. ويساعده فيما أمرده من الحمية والغذاء، ولا يشترط أن يبرئ العليل. أو يزيد في ضرره. وهذه لا شك ميزة من مزايا الطب الحاذق الماهر. صاحب الرسالة الملقاة على عاتقه.

المراجع والحواشي

- ١- بالقية، محمد بن عمر، ٦١٠هـ-١١٩٢م، تاريخ حوائث السنين، ورقة العشاء، النساء، والمربوب والأولياء، والصالحين المعروفة - تاريخ باقية الشعري، ترجمة وتعليق أحمد صالح رابحة، ١٣٩١هـ-٢٠٠٠م، (قيد الطبع) ص ١٢١ والعهدوس، عبد القادر بن شيخ، ١٢٢٨هـ-١٦٢٨م، المنور السافر من أواخر القرن العاشر، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٤م ص ١٢١ ومنه شرائط ملته.
- (أ)- ١٦٦/٨ ميكرو فيلم المكتبة الوطنية، عين نسخة المتحف البريطاني.
- (ب)- ٢٢٨١ ميكرو فيلم المكتبة الوطنية، عين نسخة لين، وبازوير، سعيد عوض، مصفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عين، د. ت. ص ١١٢.
- ٢- باقية، المصدر السابق، ص ١٢١ والعهدوس، المصدر السابق ص ١٢١.
- ٣- بازوير، المرجع السابق، ص ١٢٧ وباحسان، محمد بن علي، جواهر تاريخ الأحطاف، قدم له حسن جاد حسن، وصححه محمد عبد الله الديوب، مكتبة النهضة الحديثة، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ١٩٦٢، ١، ١٩٧٠ وابن محمد، سالم بن محمد بن سالم، د. ١٣١١هـ-١٩٤٢م.

العدة الفريدة لتواريخ قديمة وحديثة (تاريخ حضرموت) ليج، عبد الله محمد الخبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩١م، ١/ ٢١٢.

٤- عبد الوهاب بن عبد الرحمن، د. بعد عام ٩٠٤ هـ ١١٦٨م، طبقات صلحاء اليمن، ليج عبد الله محمد الخبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٦٢.

انظر الخبشي، عبد الله محمد، مجلة الأنثيمي في عصر بشي رسول، ط ٢، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ١٢١.

٦- السطوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط ١، مع (٤) دار الجيل، لبنان، ١٩٩٢، ٨/ ٢٢٢، والعهدوس، المصدر السابق، ص ١٢٧.

٧- بازوير، المرجع السابق، ص ١٢٢.

٨- السطوي، المصدر السابق، ٨/ ٢٢٢.

٩- باقية، المصدر السابق، ص ١٢٨.

١٠- ورقة (١).

١١- ورقة (١٦).

٧- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي القاسم أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي الطبري، د ٦٦٨هـ، حيون الأنبياء في طبقات الأنبياء، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٦م، ١/ ١٧.

انظر أيضاً الشعري، محمد كريم إبراهيم، (دكتور)، إسهامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري، دراسة في التراث الطبي العربي، مجلة كلية التربية، عدد (٢) الجامعة المستنصرية، العراق، ص ١١٦.

٨- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ١/ ١٢٢.

٩- المصدر نفسه، ١/ ١٢٢ قال يعقوب ورقة (٢)، العلم بالغذاء والداء، أصل عليه أسر النبات.

١١- ورقة (٢).

١٢- ورقة (٣).

١٣- ورقة (٣).

١٤- اضطراب في العجز.

١٥- ورقة (٤) انظر أيضاً ابن سينا، القانون في الطب، (ط. إيطاليا ١٩٩٢) شرح وترتيب جبران جبور، مؤسسة المعارف، لبنان، ١٩٨٦م، ص ٢٢٤.

١٦- ورقة (٥).

١٧- ورقة (٦).

١٨- ورقة (٧).

١٩- لم يشر ابن سينا، في القانون إلى هذه الخاصية، ص ٢٢٨.

٢٠- انظر أيضاً مجهول، كتاب في الطب بطريقة الجداول، (مخطوطة) مكتبة الأحطاف، ترميم، ورقة ٢٦.

٢١- ورقة (٧) انظر ابن سينا، المصدر السابق، ص ١١٢.

انظر أيضاً مجهول، المصدر السابق، ورقة ١.

٢٢- ورقة (٧).

٢٣- ورقة (٨).

٢٤- ورقة (١١).

٢٥- ورقة (١٢).